فتقدموا بطلب آخر من الولايات المتحدة للسماح لهم بتدريب بعض ضباط الجيش الاسرائيلي في صفوف الجيش الاميركي، وفي وزارة الخارجية الاميركية استجابوا لهذا الطلب، باعتباره سيؤدي الى تعميق ارتباط اسرائيل بهم.

لقد بدأ التلاقي من هنا. كان ثمة من نظر الى الصراع بين اليمين واليسار في اسرائيل، اذاً، كامتداد للتنافس بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، وان كان الأمر لا يخلو من التضليل. ففي حمأة الحرب الباردة بين القوتين العظميين لم تكن التقويمات تنجو من المغالاة، والمبالغة. فقد وصف بن ـ غوريون الصراع بين مباي ومبام كصراع بين الاشتراكية الصهيونية والشعبة اليهودية في الحزب الشيوعي السوفياتي، سواء على الصعيد اليهودي، أو على الصعيد الدولي. وفي لندن، بعث سفير الولايات المتحدة بتقويم «سرّي جداً» الى واشنطن، جاء فيه: «ان مناحيم بيغن قد يعطي الاتحاد السوفياتي نفوذاً في اسرائيل بسبب عدائهما المشترك لبريطانيا ولاسباب أخرى»! ومع ذلك، فقد استطاع بن ـ غوريون ان ينجح في المحافظة على استمرارية النظام واستقراره وسط كل هذه الصراعات. لقد نجح في ان يجعل من نفسه المصدر الأوحد للسلطة، وفي الالتفاف على خصومه وضربهم؛ كما نجح في ان يضفي على السلطة طابع افكاره؛ ونجح في أمر آخر يفوق كل نجاحاته أهمية، وهو ابقاء التوتر اليهودي قائماً داخل السلطة والمجتمع، وهو التوتر الذي ما انفك يلاحق اسرائيل بعد اربعين عاماً من نشأتها، والذي يجمع اليه دوام الصراع بين الاسرائيليين والفلسطينيين، الذي لم يشأ بن ـ غوريون أخذه عل محمل الجد.

إن حكاية الاسرائيليين الاوائل هي حكاية مزدوجة. لقد نجحوا في الحرب مع العرب، لكنهم لم يتمكنوا من القضاء على اسباب الحرب. لقد حلموا بأن يهود العالم سيأتون من اربعة اركان الارض فور اعلان اسرائيل؛ غير ان هؤلاء لم يأتوا؛ واسرائيل استمرت كما كانت؛ وستظل، أبداً، دولة صغيرة. وفي محور التاريخ، لن يكون بمقدور الاقلية التغلّب على الاكثرية. أمّا الانتصار على الفلسطينيين، فقد كان هو الخديعة الكبرى المضلّلة.

وليس ثمة مفارقة. ان مشكلة الاسرائيليين الاوائل هي مشكلة الاسرائيليين الجدد. وقد عكست العقود الاربعة الماضية اخفاق افكار بن ـ غوريون وفشل سياسته التي ظلت تطبع نهج حركة «العمل» الصهيونية. فمنذ العام ١٩٧٧، بدأ نجم حزب «العمل» (مباي) يذوي في الحياة السياسية. وفي خريف العام ١٩٨٨، عاد المتدينون الى سابق قوتهم التي كانوا عليها في بداية قيام اسرائيل؛ وما انتصار اليمين على اليسار في انتخابات الكنيست الثاني عشر، الاّ تعبيراً ساطعاً عن فشل وسقوط سياسة بن ـ غوريون. فاسرائيل لم تستطع ان تشكل الجسر الذي سيصهر الثقافات؛ وحنكة بن ـ غوريون لم تفعل اكثر من تأجيل انفجار التوترات إلى حين.

حسين حجازي